# طوفان الأقصى . . . مديات المساهمة في تَشَكّلْ النظام الدولي الجديد

# The Flood of Al-Aqsa... The extent of contribution To the formation of the new international system

**أ.م.د. عطارد عوض عبد الحميد**

**كلية العلوم السياسية – جامعة النهرين**

Dr.atarid@nahrainuniv.edu.iq

**تاريخ استلام البحث ٢٠٢٤/١١/١ تاريخ قبول النشر ٢٠٢٥/٢/٥**

**الملخص:**

أن النظام الدولي القائم على (القواعد) في حقيقته هو صناعة أميركية– غربية خالصة، التي وضعت لتحافظ على أرث السيطرة الغربية، وتؤمن مصالح المنظومة الرأسمالية، وأريد من هذه القواعد نظرياً تنظيم العلاقات الدولية، وأحكام سلوك وتوجهات دول العالم الأخرى (الشرق/ الجنوب)، بحيث أن أيّ خروج عنها، سيكون بمواجهة الغرب كله عسكرياً وأمنياً وسياسياً واقتصادياً.

وأنيط بالأمم المتحدة ومؤسساتها (مجلس الأمن) تطبيق القرارات المناسبة، وبفضل هيمنة الولايات المتحدة على المنظمة الأممية، وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، أضحت جزءاً من منظومة **(الدفاع/ الحفاظ)** عن مصالحها وتأكيد اعلويتها، مما ترتب عليه صعود مخيف في تبني (الازدواجية المفضوحة، الخداع والكذب، التزوير والتزييف، المناقضة بين المعلن والمستبطن) لتلف العلاقات الدولية.

فلم تستطيع الولايات المتحدة والقوى الغربية في **جعل طوفان الأقصى (حرب غزة) شأن صغير ومحدود التأثير**، حتى في إقليم غرب أسيا، إلا أن انتقال شعاع تأثيرها وصل إلى كل العالم، وأضحت **قضية إنسانية وحقوقية عالمية**. بالمقابل نجد محور الفواعل من غير الدول رسخ من الممكن أن **يشكلون قطباً** في ميدان التحول نحو نظام دولي جديد لا يتحكم فيه الغرب منفرداً.

**الكلمات المفتاحية:** طوفان الأقصى، المؤسسات الأممية، القوى المهيمنة، الفواعل غير الدول، الشيخوخة الامريكية.

**Abstract**

The Iinternational System based on (rules) is, in reality, a purely American-Western industry, which was created to preserve the legacy of Western control and secure the interests of the capitalist system. In theory, I want these rules to regulate international relations and govern the behavior and orientations of other countries of the world (East/South). So that any departure from it will confront the entire west militarily, security-wise, politically and economically.

The United Nations and its institutions (the Security Council) were entrusted with implementing the appropriate resolutions, and thanks to the United States'

hegemony over the United Nations, especially after the end of the Cold War, it became part of the system of "defending/preserving" its interests and asserting its supremacy, which resulted in a frightening rise in the adoption of "blatant duality." , deception and lying, forgery and falsification, contradiction between the advertiser and the hidden) to damage international relations.

The United States and the Western powers were unable to make the Al-Aqsa flood (the Gaza war) a small matter with limited impact, even in the West Asian region, but the ray of its influence reached the entire world, and it became a global humanitarian and human rights issue. On the other hand, we find an established axis of non-state actors who may form a pole in the field of transformation towards a new international order that is not controlled by the West alone.

**Keyboard**: Al-Aqsa flood, international institutions, hegemonic powers, non-state actors, American aging.

## توطئة

عندما ذهب الغرب لاقتحام الشرق بالعنف (القوة) والكذب والخديعة، والتبشير بالديانات والسلام، استغل براءة مجتمعاته وميلها إلى اللاعنف والمسالمة، وما بين **(قوة الأسد وهيبته)** و**(مكر الثعلب وخداعه)**، وضع **(نيقولا ميكافيلي-** Niccolo Machiavelli) أسس الفلسفة السياسية الغربية[١]، وأساليب ممارستها بأبعادها القائمة على: القانون، والقوة، والخداع، وهذه جميعاً انبرى الفلاسفة الغربيين لتبريرها **(والتبرير عادة ما ينطوي على نفي الخطأ)** والتأكيد على البراءة منه، وعدوها نوع من **(الأكاذيب النبيلة)** كما (يحسبها أفلاطون)[٢]، فالمغازي للمخادعة والمراوغة والتلاعب بالمفردات والنصوص ولوي الحقائق، وأن بدت في فعلها ليست ذات مصداقية ولا أخلاقية وحتى إنسانية، إلا أن أهدافها تعد حاملة لمعاني نبيلة، طالما تحفظ وجود الدولة أو تقويتها ودرء الأخطار التي تواجهها.

والأوضاع التي عاشها العالم في النصف الأول من القرن العشرين، حملت الكثير من التطبيقات التي أوصى بها ميكافيلي أميره، وساهمت في الآتيان بنصر الحربين العالميتين، وسمحت للمنتصرين من أن **يضعوا قواعد اللعبة العالمية ويكتبوا التاريخ**، وصوغ النظام الدولي القائم. وهو ما سمح للولايات المتحدة التي كانت جاهزة ومتوثبه ومخططة لاقتناص الفرصة التاريخية، لترسي دعائم هيمنتها وقيادتها للعالم، بل أندفع **(المخيال)** الأميركي في تصوراته لتحقيق الحلم الأميركي في فرض ثقافته وفنونه وحتى أنماط استهلاكه على العالم.

**أهمية البحث:** أن النظام الدولي القائم على (القواعد) في حقيقته هو صناعة أميركية– غربية خالصة، التي وضعت لتحافظ على أرث السيطرة الغربية، وتؤمن مصالح المنظومة الرأسمالية، وأريد من هذه القواعد نظرياً تنظيم العلاقات الدولية، وأحكام سلوك وتوجهات دول العالم الأخرى **(الشرق/ الجنوب)**، بحيث أن أي خروج عنها، سيكون بمواجهة الغرب كله عسكرياً وأمنياً وسياسياً واقتصادياً. وأنيط بالأمم

المتحدة ومؤسساتها **(مجلس الأمن)** تطبيق القرارات المناسبة، وبفضل هيمنة الولايات المتحدة على المنظمة الأممية، وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، أضحت جزءاً من منظومة **(الدفاع/ الحفاظ)** عن مصالحها وتأكيد اعلويتها، مما ترتب عليه صعود مخيف في تبني (الازدواجية المفضوحة، الخداع والكذب، التزوير والتزييف، المناقضة بين المعلن والمستبطن) لتلف العلاقات الدولية.

**إشكالية البحث:** يعاني النظام الدولي من إشكالية تبلورية قائمة على تعدد الفواعل الدولية وغير الدولية، الذين يساهمون في تشكيله سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، أو محاولة التأثير في تشكيله، وبذلك يمكن طرح مجموعة تساؤلات من الممكن إجابتها في ثنايا البحث وهي:

١. ما هي طبيعة النظام الدولي ومدى فاعلية القوى المهيمنة فيه؟

٢. ما هو حجم مساهمة أحداث طوفان الأقصى في التأثير على مكانة القوى المهيمنة (الإقليمية والدولية)؟

٣. ما هو دور المؤسسات الدولية في الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين؟

٤. هل سيساهم الفاعلون غير الدوليين في إعادة تشكيل النظام الدولي الجديد؟

**فرضية البحث:** يستند البحث على افتراض مفاده (ساهمت طوفان الأقصى في الدفع صوب قيام نظام دولي أكثر انصافاً وعدالة، في ظل تجاوز واضح للدولة القائدة وأخواتها (بريطانيا وفرنسا وألمانيا)، لقواعد القانون الدولي والإنساني منه بوجه الخصوص).

**منهج البحث:** لمعرفة تطور النظام الدولي وأهم الفواعل الدولية فيه تاريخياً، سيتم اعتماد المنهج الاستقرائي، أيّ الانتقال من جزئيات المعرفة إلى الكليات في توصيف طوفان الأقصى والفواعل المؤثرة فيه، ومدى مساهمته في تشكيل النظام الدولي الجديد، من خلال الاعتماد على الأسلوب التاريخي في تفسير طبيعة النظام وتطوره، ومعرفة الجذور التاريخية للقوى المهيمنة وتطلعاتها الخارجية، فضلاً عن الأسلوب الوصفي التحليلي في وصف وتحليل أمكانيات القوى الكبرى المهيمنة، والفواعل غير الرسمية ودورها في تشكيل النظام الدولي الجديد.

وبذلك يمكن تقسيم محاور البحث إلى الآتي:

## المحور الأول: عجز النظام الدولي والدولة القائدة

يبدو أن مواطن العجز في النظام الدولي قد بانت بوضوح، ولم يعد هناك ما يخفيها، وبجانبه رسمت خطوط الشيخوخة أخاديدها على ترائب القوة القابضة، والتحركات لا تلغي الوضوح في الملامح والسمات، وبات كلاهما يعاني من استهلاك مرحلته التاريخية، وبات الرفض ودلالاته واضحاً كونه شكل من أشكال المواجهة لمنهج القوة الأميركية، ونتيجة لهذا فأن هو متاح للنظام الدولي والأحادية الأميركية والسيطرة الغربية، هو فقط تأخير اللحظة الزمنية لانتهاء صلاحيتهما، فالأحوال تغيرت والمسوغات جرى تجاوزها، والقوة ومصادرها تنوعت، وتحولت وانتشرت، وبوضوح أكثر فأن عوالم الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، لم يعد لها حضور يذكر.

لقد تم سوق العالم سوقاً نحو التنظيم الدولي، الذي سعت الولايات المتحدة الأمريكية لكي تمارس دور **(القيمومة)** على العالم، تحت أحجيتها القائمة على ضمان الأمن والاستقرار ولجم الحروب، ونشر الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وهكذا تم وضع النظام الدولي الذي تطلق عليه الولايات المتحدة الأميركية وأخواتها الغربيات **(النظام الدولي القائم على القواعد)**، هذه القواعد جرى التوافق عليها بين دول المنظومة الغربية للمحافظة على مصالحها وهيمنتها على العالم الممتدة منذ أربعة قرون. وكانت **(الخوارزمية)** الطبيعية التي تبنتها الولايات المتحدة وحليفاتها، للتعامل مع مختلف الأزمات في العالم، هي الحرب واستخدام القوة العسكرية بأقصى ممكناتها، من دون أيّ التفاتة إلى القواعد والقوانيين الناظمة لحقوق الدول والبشر في ظل الحروب، كل هذا أريد منه تثبيت قواعد اللعبة المستندة على القوة لإحداث التوازنات المطلوبة.

هذا النظام الدولي لم يكن بالإمكان علناً نقده من قبل الدول باختلافها، حتى ولو باستيحاء، حتى مع موجة الاحتلالات الأميركية التي افتتحت بها القرن الحادي والعشرين، مرتكزة على الانحياز والانتقائية والازدواجية في تطبيق القانون الدولي، لضمان مصالح الولايات المتحدة وعموم الغرب. إذ جرى استبدال النقد والاعتراض بلغة تحسينيه هو إصلاح منظومة الأمم المتحدة وتطوير عمل مجلس الأمن وتوسيعه، ووضعت الولايات المتحدة خطاً أحمر ومقايضة إغوائية، تجعل منها معادلة **(إما / أو)** ما بين وجود هذا النظام الذي تهيمن عليه، وما بين الفوضى، أيّ أن عدم قبول أو تطبيق هذا النظام يكون بمقابله الفوضى، وتعني **(أيّ الفوضى)** في المنطق الأميركي– الغربي، هو دخول دول أخرى للمشاركة في إدارة الشأن العالمي جنباً إلى جنب مع الولايات المتحدة، مما يعني عملياً وواقعياً نزع السيطرة والهيمنة الغربية على العالم أو مشاركتها.

لقد عبر هذا النظام عن نفسه بسرعة فقد ظهرت أزمات وحروب ونزاعات قادتها أو أشعلتها الولايات المتحدة، في مختلف بقاع الأرض، وتاريخياً الولايات المتحدة هي دولة حرب منذ نشؤها، فقد رصد معهد أوسلو لأبحاث السلام على مدار تاريخ الولايات المتحدة الذي يقارب عن ٢٤٨ عاماً، غاب التدخل الأميركي عسكرياً فيها (١٧) عاماً فقط. مما يؤكد مقولة المؤرخ الأميركي (بول آل تودد) من **(أن الحرب طريق الحياة لأميركا)**، ومصداقاً لحديث الرئيس الأميركي الأسبق (جيمي كارتر) عام ٢٠١٩، والذي يقول فيه **(إن بلاده هي الأكثر خوضاً للحروب في تاريخ العالم)** [٣].

ومنذ الحرب العالمية وحتى عام ٢٠٠٠ قامت الولايات المتحدة بشن أو اشعال أكثر من (٢٠٠) نزاع مسلح وحرب، في (١٥٣) دولة ما يمثل (٨٠%) من أجمالي الحروب والنزاعات في العالم. إما في عام ٢٠٢٣ لوحده كانت حاضرة في (٥٩) صراعاً مسلحاً على مستوى العالم بصورة مباشرة أو غير مباشرة **(الوكالة)**، وعلى رأسها الحرب الأوكرانية وحرب غزة.

ويسعفنا التاريخ بأن الولايات المتحدة قامت بأول تجربة لإسقاط نظام من الخارج عبر التدخل العسكري الذي جرى عام ١٨٠٥، عندما قام الضابط الأميركي الذي كان قنصلاً (دبلوماسياً) في مدينة

(طرابلس– ليبيا الحالية)، بالتحالف مع شقيق حاكم المدينة **(يوسف الفرملي)** وبمساندة ثلاث سفن أميركية من إجبار الحاكم على الاستسلام وإسقاط حكومته[٤]، وهذه تعد أول عملية أميركية لإحداث انقلاب في حكومة أجنبية، وهو ما فتح شهيتها طوال تاريخها على العمل على اسقاط الحكومات والنظم المناوئة للولايات المتحدة، وبمختلف السبل العسكرية أو الاغتيالات أو أنشطة مخابراتية.

هذه الدولة التي تتربع على عرش النظام الدولي وتحتضن المؤسسات الأممية المعنية بقضايا وشؤون العالم، افتراضاً يجب أن تكون الأكثر حرصاً على احترام الشرعة الدولية، وما تضمنته من الالتزام بسيادة الدول واحترام استقلالها وحقها في اختيار توجهاتها، إلا أنها دأبت على وضع القوة بكل أشكالها في المنزلة الأولى لعلاقاتها مع الأخر المختلف معها، لهذا تبرر مادلين اولبرايت وزيرة الخارجية الأميركية زمن إدارة الرئيس (كلينتون)، قصف العراق بالقول: **(إذا كان يجب علينا استخدام القوة، فذلك لأننا أمريكا. إن قامتنا طويلة)** والموقف نفسه يلخصه بدقة جون بولتون مستشار الأمن القومي الأميركي في إدارة (ترامب) بقوله: **لا يوجد ما يسمى بالأمم المتحدة.** يوجد مجتمع دولي بالإمكان قيادته بواسطة القوة الحقيقية الوحيدة المتبقية في العالم، وهذه هي الولايات المتحدة الأمريكية عندما يتلاءم ذلك مع مصالحنا، كذلك تدلوا مستشارة الأمن القومي الأميركي **(كوندااليزا رايس)** بأن السياسة الأميركية في بواكير القرن الحالي **(أيّ الحادي والعشرين)**، تنطلق من المصالح الوطنية الواقعية للولايات المتحدة، وليس من **مصالح مجتمع دولي وهمي** [٥].

لقد حكمت أمريكا العالم تحت الذل والرهبة والتهديد والوعيد، لكي تحافظ على رسوخ هيمنتها والحفاظ على مسافة فاصلة عن الآخرين، هذا المزيج من الهيبة والرهبة والرعب، مع أضفاء الشعور بالأحقية الشرعية باستخدام القوة، هو الذي أنتج النظام الدولي التاريخي الحالي، وهو امتداد واستمرار وتواصل لنهج غربي قائم ومعتمد منذ قرون عدة، مساره المؤكد هو سفك الدماء مهما كان مقدارها ومن دون توقف، مرتكزة على أفكار مدفونة من أزمان موغلة في القدم، وحتى بعضها أساطير وحكايات تسللت من الموروثات التوراتية واعتنقتها النخب السياسية، تحكمها أنانية نفسانية توقدها الروح الدموية المتحفزة دوماً للاستمتاع بإذلال الأخرين واستعبادهم.

هذه السمات المركزية هي التي توسم النظام الدولي، الذي يتمسح بالتهدئة والمسامحة والتعايش والحفاظ على الكوكب، ويدفعها كخطاب مبثوب نحو الشعوب، ولكنه في الأصل يقوم على ركنين أساسيين هما: التفاهم عبر العلاقات **(التفاهمات الناعمة)** وهذا متضمن **التهديد والوعيد والضغط والاجبار، تحت عبارات ملطفة لغوياً تسمى (المرونة/ العقلانية/ الواقعية).** لضمان مصالح الولايات المتحدة في المقدمة وتالياً مصالح الغرب،

وعندما لا يكون ذلك مجدياً هناك ركن أخر قائم على العلاقات الصلبة المستندة على القوة العسكرية لإخضاع الدولة المستهدفة.

وهكذا ورث العالم بعد الحرب الباردة نظاماً مستبداً يضمن استمرار العمل بقواعده، **طوعاً أو جبراً**[٦]، **رغبة أو خشية**، كل ذلك جرى تغليفه وتسويقه بالتفاخر بتبني فرض الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية والتجارة، وعندئذ لا مناص من اعتماد الانقلابات العسكرية وتغيير النظم، أو تجييش منظمات المجتمع المدني وصبيان (السفارات وUSAD وNDI)، بعَّدهِم **(مبشرين للديمقراطية– رسل للحرية– ناشطين في مجال حقوق الإنسان)**، بدل أن يطلق عليهم في الشرق **(العملاء)**، وبموازاتها هناك خلق للنزاعات واعتماد الحصار والعقوبات الاقتصادية بحجة تحرير التجارة وفتح الاقتصادات.

ربما هو الزمن لوحده القادر على إظهار حجم القدرة المتبقية من تلكم النزعة الإجرائية الأحادية، التي انتهجتها الولايات المتحدة لإدارة النظام الدولي، وعدم إقامة وزن لخصومها الفعليين والمحتملين، فالتفاهمات والتوازنات التي أقيم عليها هذا النظام الدولي الحالي، والمتسمة بكونها **(غير منصفة وغير عادلة)**، ومنتجه على الدوام **(لإشكاليات)** لا حد لها، سوف لن يكون بمقدورها الاستمرار، فهي بذرة غير صالحة للإنبات في تربة مختلفة، وربما تتحول إلى بذرة سامة، نتيجة البيئة الدولية التي باتت مختلفة، وهذا وضع الولايات المتحدة ما بين حدين هما: رغبتها بالاحتفاظ بمزيات القيادة العالمية، وحداً أخر هو عدم استعدادها لتحمل الأعباء المترتبة على تلكم الرغبة، وهنا تكمن الخطيئة الكبرى للولايات المتحدة فهي **(مذنبة وأثمة)**، شأنها شأن القوى العظمى التي سبقتها، عندما سمحت باتساع الفجوة ما بين الغاية والوسيلة إلى الحدود غير القادرة على تقليصها، وهو ما جعل أصدقاءها وإعداءها على حد سواء **(لا يعرفون أين هي تقف؟)**.

هذا الصدأ الذي طال بنية النظام الدولي تسبب بظهور تصدعات في أماكن عدة، خفضَ من فاعلية تطبيق قواعد القانون الدولي، ومع التعقيد غير المألوف الذي أظهرته الأزمات والمشكلات الدولية، يقابله تعنت أميركي في التفرد بقيادة هذا النظام، أدى إلى عدم توحيد جهود القوى العظمى لمواجهة تلكم التحديات بشكل مشترك أو جماعي، وهو ما دفع بالسياسة العالمية بشكل واضح نحو شكل من أشكال اللعبة الدولية ذات **(المحصلة الصفرية)**.

لهذا تبدو مقدرة النظام الدولي على استعادة توازناته غير ممكنة، وبدا الاشتباك واضحاً شيئاً فشيئاً ما بين **(الغرب الجماعي)** و**(الجنوب العالمي)**، أو بين **(حلف الناتو)** و**(تحالف الشرق)**، وهو ما يحمل مخاطر كبرى على البشرية، فالصدام العسكري ليس ترفاً، في عالم يعاني من إجهاد مؤسسي واسع، نتيجة التأثير السلبي لمتراكمات المشكلات المؤجلة، مفضياً إلى تراجع واضح في الاستقرار العالمي سنة بعد أخرى، وبهذا ضاعت الفرصة لأن يكون هناك إصلاح منسق للنظام الدولي ولمؤسسات الأمم المتحدة من الأعلى، في حين تعاظم الانهيار المتسلسل للنظام الدولي القديم من الأسفل.

المحور الثاني: طوفان الأقصى . . . وصعود دور الفواعل من غير الدول في منطقة غرب أسيا

لا يمكن الاختلاف في بيان الجدوى السياسية والاقتصادية والاستراتيجية للكيان الصهيوني، وكأن تعليق الرئيس الأميركي **(جو بايدن)** هو الأصدق في مضمونه من بين تصريحات كل الرؤساء الأمريكان،

عندما قال: **(أن لم تكن إسرائيل موجودة، كان علينا أيجادها)**، والصدقية تكمن في دورها وجيواستراتيجيتها وأهميتها ليس للمشروع الكوني الأميركي فحسب بل للغرب برمته، ووجودها كان **حاجة وضرورة**، هذا الكيان هو في الأصل مشروع رأسمالي غربي خالص، جرى الاستثمار فيه من قبل أغلب دوله على اختلاف مستوى المساهمة، أريد منه أن يكون قاعدة متقدمة عسكرياً وسياسياً وأمنياً واقتصادياً، مخصوصة بأن يكون لها بعد استراتيجي يتجاوز الكثير مما يقال، وتكون جزءاً مهماً من الجهد الاستراتيجي الأميركي– الغربي، لفرض السيطرة والهيمنة والتفوق في منطقة من أكثر المناطق أهمية للغرب، في بعديها الجيوبولتيكي والطاقوي، ومحطة لوجستية ومراقبة لأهم الخوانق البحرية الرابطة بين الغرب والشرق، وجزء من منظومة القوة العسكرية لضبط الأوضاع في غرب أسيا وشمال أفريقيا، وقطع الطريق على القوى الطامحة بالوصول إليها، وعدها حديقة الغرب الخلفية التي تنتشر فيها مختلف المصالح والأهداف، وعاملاً رئيساً في عدم استقرار المنطقة، وكبح جماح أيّ دولة في التطلع نحو التنمية والبناء والتطور ومراكمة القوة. حتى باتت هذه القاعدة أحد أهم عوامل التخلف وتدهور التنمية في الكثير من دول المنطقة.

لقد قدم طوفان الأقصى فرصة **(استثنائية)** لإعادة ترتيب منهجية التفكير في هذا القرن الحادي والعشرين، التي تعد مختلفة عما هو عليه في القرن العشرين، وعلى رأس ذلك هو غياب اليقينية المعرفية بما ستكون عليه أحوال المواجهة والصراع، فالطواهر باتت معقدة ومركبة ومترابطة، بما يسمح لمتغير صغير **(حدث أو فعل)** أن ينقل تأثيراته بعيداً وعميقاً على أحوال العالم، إذ أن ظهور فواعل أو قوى من غير الدولة **(Non -State)**، وفر لها القدرة على التأثير في مجرى الأحداث بهذا القدر أم ذاك.

لقد فرضت السياسات الأميركية المختلفة في سياق تثبيت هيمنتها وتفردها، الإمعان في استغلال الشعوب وإذلالها ونهب ثرواتها وسحق حتى حقها في الوجود، كما هو حال **(الشعب الفلسطيني)**، ودفعها شيئاً فشيئاً نحو الخنوع، من خلال النظم السياسية التي تؤسسها في بلدانها، والحكومات والنخب التي توصلها إلى سدة السلطة، وتبعاً لهذا **(التماهي/ أو العجز)** أندفع الغرب **(الأميركي– الأوربي)**، بتغول شديد ناحية استهداف **(البنى القيمية)** لهذه المجتمعات والشعوب في ثوابتها وقيمها، وصولاً إلى **(معتقداتها الدينية والفطرة الإنسانية)**.

هذا رفع جوانب الرفض لدى الفواعل غير الدولية **(حركات المقاومة)**، وسجل لها حضوراً شرعياً وأرتقاءًا متفرداً وقبولاً شعبياً، مما فرض على الولايات المتحدة وحليفاتها وضعاً مختلفاً وجديداً، ولم يعد تحالفها مع النظم والحكومات قادراً على تحييدها أو لجمها، مما أجبر الولايات المتحدة إلى العودة للواقعية **(البرغماتية)** التي فرضتها **حركات الفواعل من غير الدول، وهو التوسل بنسج** تفاهمات مع مكونات **(غير رسمية)** بعيداً عن الحكومات، هذا الأمر ثبت شيئاً جديداً على الخارطة الممتدة للصراع والمواجهة، هو الترقي في منزلتها والاعتراف الأميركي بكونها أكثر قوة وتأثيراً من الدول التي تعيش في كنفها أو بجوارها، وثبت لها وجوداً ودوراً وحقوقاً مكتسبةٍ في أن تكون حاضرة في مجمل التفاعلات والترتيبات على مستوى بلدانها أم على مستوى الإقليم.

وما يمكن قوله أن الحضور القوي والوحيد لخط الفواعل من غير الدول لمواجهة في بلدان غرب أسيا بوجه الولايات المتحدة، هو الوحيد القادر على إعاقة مشروعاتها (السياسية والاقتصادية) وعرقلة توجهاتها الاستراتيجية للمنطقة، بل وذهبت أبعد من ذلك عندما أحرجت أحد أهم مرتكزات القوة الصلبة الأميركية **(البحرية)**، التي تعد هي الأقوى عالمياً، كما فعلت **(حركة انصار الله – الحوثيين)** اليمنية، وظهورها القوي في استهداف القوة البحرية والغربية في البحر الأحمر وخليج عدن، بما تسبب بمعضلة جيوبولتيكية[٧] طرفاها عسكري وتجاري. في أحد أهم الخوانق البحرية العالمية **(باب المندب)**. فضلاً عن القدرات التي تتمتع بها تلكم القوى من إمكانات ضرب القواعد الأميركية في عموم غرب أسيا.

فيما يشكل وجود الفواعل من غير الدول **(المساهمة في طوفان الاقصى)** كقوى متوثبة نجحت في تحقيق تأكل واضح وبائن لا تخطئه العين في أسطورة التفوق والردع (الإسرائيلي)، بعد سبع عقود من قيام هذا الكيان، وهو ما رفع منسوب الخطر على وجوده، لاسيّما وأنهما استطاعا نقل المعركة إلى الداخل الإسرائيلي، وهذا له اعتباراته الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، مستثمرين بكفاءة وهن العمق الجغرافي، ولأول مرة تصبح كل جغرافيا الكيان تحت التهديد والدمار، مع عدم أنكار أن ما يمتلكه هذا الكيان من إمكانات عسكرية وتكنولوجية، هو تماماً ما متوافر للولايات المتحدة. إلا أن وقع الاستهداف من الجماعات المقاومة هو أكثر تأثيراً على الداخل الصهيوني، مما يمكن معه أن يكون مفضياً إلى اهتزاز البنية الداخلية وصعود الانقسام والتناقض بين المكونات، ويشكل سبباً لأنشطة الهجرة المعاكسة من الكيان.

هذا التطور في ارتفاع مستوى التهديد للقاعدة المتقدمة للغرب من شأنه الإطاحة التامة بنظرية الأمن القومي الصهيوني، واجباره على القبول استبدال التفوق المطلق للكيان بالردع المتقابل، وهذا يعد انجازاً كبيراً لدولة فلسطين يتحقق لأول مرة، وهو ما لم تحققه جيوش الدول المجاورة **(دول الطوق)** وأخواتها العربيات، دفع الولايات المتحدة وبريطانيا الراعيان الرئيسان للكيان ومعهم ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، وبعضاً من الدول العربية المطبعة أو في الطريق بشكل صريح وخفي **(الإمارات– الأردن)** و**(مصر– السعودية)**، في الوقوف صفاً واحداً لمساندة الكيان الصهيوني، وتبني سرديته، بالرغم من مما ينفذه من إبادة جماعية وجرائم حرب وتجاوز للقانون الدولي الإنساني، والتي جميعها تقع في صلب مسؤولية الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وتتطلب المحاسبة والادانة وإقامة المحاكم بشأنها، كونها جرائم مكتملة الأركان توصيفاً وتحديداً، بل هي أكثر وضوحاً من الجرائم التي أقامها النظام الدولي **(القائم نظرياً على القواعد) في حرب (يوغسلافيا)**.

ولما كانت الفواعل من غير الدول المؤثرة في مشهد طوفان الأقصى هي ذات طبيعة دينية إسلامية، ومؤمنة ومتيقنة تمام اليقين بما جاء به الله سبحانه وتعالى في قوله الحق: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[٨]، فهي تستند على أيمان مطلق بصحة مواقفها وتوجهها وتقبل التضحيات على هذا الطريق، هذه الثقة مردها الله، لهذا فهم يثقون بـ**(الله جل جلاله)** وبما وعدهم به، وهي لا تشكل اعتداءً على الأخرين عندما تناهض الولايات المتحدة وأتباعها

الغربيين والمحليين، لهذا باتت هذه الأطراف (الفواعل من غير الدول) مدعاة احراج للنظام السياسي الرسمي العربي مع حكوماته، وللكثير من أحزابه ومؤسساته، سواء في توجهاتها أم في سلوكها، ولعل تضامنها وأسنادها لقوى المقاومة الفلسطينية متأتي من وحدة أهدافها وقضاياها، بجانب ضرورة تراصفها جمعاً لمواجهة القوة الغربية وقاعدتها المتقدمة في المنطقة **(إسرائيل)**.

إن الختل الذي يشيعه الغرب في الدفع بالمفاهيم الكلية يراد منه الأغواء و**(المخادعة)** ونصب الفخاخ، وسوق المفاهيم المبثوثة والمفروضة والمفروشة في تعامله مع دول ومجتمعات عالم الجنوب، إذ يجب أن لا ينظر لها بإطار كلي مجرد، لكونه يغطي على مختلف الظواهر والمشكلات ويخفيها، ولا يسمح باكتشافها، ومن دون الغوص في كنن الاشياء وتحليلها ومعرفة دوافعها وتفسيرها، وتحليل متبنياتها وتوابعها تصبح الأمور بلا معنى، كذلك يسهل للولايات المتحدة النكوص عنها، امتثالاً لوصية ميكافيلي **(بأن لا يحافظ على عهوده أو مواثيق كان قد قطعها على نفسه، عندما يجدها تلحق ضرراً بمصالح دولته)**[٩]. وهو منهج فلسفي جرى تبنيه من قبل الكثير من الفلاسفة الغربيين، ليصل إلى ميدان العلاقات الدولية وآليات اشتغال الدولة، طالما أن هذا المنهج يحفظ وجود الدولة ويقويها ويساهم بدرء الأخطار عنها، فالعبرة بالنتائج والخواتيم، وهذا هو جوهر **مذهب النتائج** (Consequentialism) في الفلسفة الغربية[١٠].

لقد ترتب على انسياق بعض النظم مأخوذة بالمخاوف من السطوة الأميركية أو التماهي معها، إلى مستويات من الاستجابة عرضت مجتمعاتها للخطر كما هو حال (مصر) اقتصادياً واجتماعياً، أو أن بعضها الأخر مارس الملاحقة بالخطوات لكسب الرضا **(الأميركي – الغربي– الإسرائيلي)**، على حساب موقعية دولته ورمزيتها الدينية مثلما هو حال (السعودية)، من أجل ردع المنافسين على تربع العرش، في حين ذهبت نظم أخرى للحصول على مكاسب اقتصادية وحماية نظام الحكم كما في (الأردن)، وهذا ينطبق على نظم الحكم (غير الديمقراطية) الاوتوقراطية كالبحرين والإمارات والمغرب ... الخ. التي انفصلت عن مجتمعاتها وتراثها ومقدساتها وحتى إنسانيتها وأخلاقيتها، عندما اختارت الذهاب مع الأمريكان والغرب إلى النهاية.

وعلى وفق هذا أضحى طوفان الاقصى معياراً صريحاً وواضحاً في الفرز وكشف النقاب والمواقف والتوجهات، ليس على مستوى المنطقة وما تحتضنه من حكومات وقوى ومؤسسات، بل على مستوى العالم، وعرضت كل القيم والمثل والمشتركات الإنسانية التي أشنف الغرب والولايات المتحدة أسماع البشرية بها للفحص والتدقيق، وعلى وقع المجازر والمذابح والابادة الجماعية والحرمان لشعب غزة من أبسط متطلبات الحياة، باتت الأكذوبة الأميركية– الأوربية في حقوق الإنسان كاسدة ومنتهية الصلاحية، مما يتطلب سحبها من أسواق المداولات المزيفة. وهذه تعد من أعظم الخسائر التي مني بها الغرب في التاريخ الحديث والمعاصر.

## المحور الثالث: إضاءات واقعية لطوفان الأقصى

لهذا يقدم طوفان الأقصى دروساً وحقائق ومعطيات ستظل راسخة ورافدة، يمكن البناء عليها لنزع الظلم الغربي عن المجتمع الفلسطيني ومجتمعات الشرق، وفضيحة للغرب الرسمي بقيادة الولايات المتحدة وشقيقاتها الأوربيات في ارتكاب محرقة حقيقية غير مزيفة، بحق الشعب الفلسطيني **(محرقة غزة والضفة)**.

ويمكن هنا الاضاءة على بعضاً من هذه الحقائق، وهي:

١. أثبتت حالة الطوفان أن اعتماد الحرب اللامتماثلة من شأنها احداث تعديل جوهري في أوزان القوة والتفوق.

٢. إن التفوق التكنولوجي (الإسرائيلي والغربي)، يمكن تجاوزه باعتماد أساليب جديدة غير مألوفة، تخفض من تأثير هذا التفوق.

٣. ثبت بما لا يدع أيّ شك في منطقتنا العربية على (الأقل)، بأن الفاعلين من غير الدولة **(الحركات والجماعات المسلحة)** المقاومة، هي أكثر تأثيرا على المشروع الغربي من الفاعلين الرسميين **(حكومات – مؤسسات تمثيلية – نخب)**، لكونها إما **(متماهية أو خاضعة)**.

٤. انكشاف زيف السردية الغربية في احترام حقوق الإنسان، وعلوية القانون الدولي واحترام القرارات الدولية، وإماطة اللثام عن عورات النظام الدولي وصادرات الحضارة الغربية، مما أطاح بما كانت تتكئ عليه الحضارة الغربية، وسجل لها فضيحة تاريخية لا تستطيع محوها بسهولة.

٥. الجبهات التي فتحتها **(القوى من غير الدول)** سجلت رافداً لإحداث تغيرات جيواستراتيجية كبرى في خريطة التحول العالمي، وشكلت رافداً من روافد أضعاف التحكم الأميركي– الغربي.

٦. سحق طوفان الأقصى مع فعاليات قوى الساندة، أطروحة قدرة الكيان الصهيوني في توفير الأمن للنظم الضعيفة والمترجرجة وغير الشرعية، عندما بات الكيان نفسه غير قادر على حماية أمنه القومي. وأرتقى الأمر إلى أن مراكزه البحثية ومفكريه يحذرون من كون الكيان دخول مرحلة التهديد الوجودي.

٧. ساهم طوفان الأقصى برد الاعتبار الإقليمي والعالمي للقضية الفلسطينية التي حاولت الولايات المتحدة والغرب من تذويبها ومسحها من جداول الاهتمام، وتحويلها من قضية احتلال واستعمار وفصل عنصري، وما يرافقه من حق التحرر الوطني، إلى قضية تتعلق بتقديم التنازلات والقبول بالأمر الواقع.

٨. كشف الطوفان عن الأقنعة المزيفة التي كانت فاصلة عن الوجه الحقيقي للكثير من المؤسسات الرسمية **(جامعة الدول العربية – منظمة التعاون الإسلامي– دول وحكومات– جامعات)**، ومثلها مؤسسات دينية كبيرة، وقنوات فضائية وصحف، وأفراد على اختلاف مواقعهم وتأثيرهم.

٩. أضحت القوى من غير الدولية **(حركات – جماعات – أحزاب)**، رقماً صعباً في المعادلة السياسية والأمنية في المنطقة، لا يمكن تجاوزها، وبمقدورها خلط الأوراق وإعادة بوصلة التوجهات، مما يلزم الولايات المتحدة الأميركية وشقيقاتها الغربيات إلى التعامل معها وعدم تجاهلها، **جبراً وليس خياراً كفاعل مؤثر في أوضاع المنطقة.**

١٠. سجل طوفان الأقصى صفعة قوية ومحسوبة ومحددة المكان إلى الاستراتيجية الأميركية **(تطييف/ طوئفة)** المنطقة، وتحميل إيران مسؤوليتها، وبهذا تم العبث بالأوراق والخرائط الأميركية المعدة للمنطقة.

١١. قدم طوفان الأقصى خدمة جليلة وكبيرة للقوى الإقليمية **(إيران وتركيا)** والدولية **(الصين وروسيا)** من حيث لا يحتسبون، في أشغال الغرب وأحراجه وأضعاف دوره.

١٢. أثبت قطع طوفان الأقصى بما لا يقبل التأويل أو الشك، استمرار الهيراركية العنصرية المتأصلة والمتجذرة عند الغرب، في نظرتها للبشر بكونهم غير متساوون، وبأن هناك خط فاصل بين الأرقى والأدنى منهم، (Under The Color Line)، فمن هو تحت خط اللون الأبيض لا يعد إنساناً مكتمل الإنسانية، مما يعطي الغرب الحق في نزع الأدمية (Dehumanization) عنه[١١]، وعندئذ تصبح منظومة الحقوق في مأزق مما يطرح سؤال مركزي: **ما هو توصيف الإنسان الذي له الحق في التمتع بحقوق الإنسان التي روجت لها الولايات المتحدة؟**، إن عناصر إنسانيتك غير مكتملة، إلا بالتشبه الكامل بالغرب، وفي الأولوية منها أنكار الفطرة الإنسانية، وإقرار المثلية، والعبور الجنساني.

**المحور الرابع: موقعية الفواعل اللا دولانية في بزوغ النظام الجديد**

ليس بمقدور باحثي الشأن الدولي أن يشيحوا بنظرتهم جانباً عما يعتمر النظام الدولي، من الأزمة والضعف في الركائز التي أقيم عليها، وتتجلى أزمته في الشلل الذي أصابه نتيجة الهيمنة المنفردة للولايات المتحدة، مما يسمح بأيلولته للسقوط وبموازاة ذلك تعسر ولادة النظام الجديد، وما بينهما فترة تحول وتريث وترقب وربما فوضى واضطراب، وهنا نكون إزاء مشهدين إما تحول ثوري وعادة ما يكون ذلك على وقع حرب كبرى تطيح بمن يهيمن على النظام، وتفتح الطريق لقوة أخرى ترتقي لهرمه وتمارس قيادته **(الطبيعة التطورية للنظام)**[١٢]، أو أننا بإزاء تحول بطيء يتغذى من عوامل التعرية والتجريف لممكنات القوة القابضة على النظام الدولي، ويعكس التزامن ما بين تصاعد الحروب والأزمات، وتأكل الهيمنة الأحادية دليلاً على وهن النظام القائم. فيما يذهب بعضهم إلى أن الدولة المهيمنة على النظام الدولي الحالي (الولايات المتحدة)، بمقدورها نظراً لما تمتلكه من مصادر قوة إعادة تنشيط النظام الدولي التي تراه مبني على القواعد.

إن العجز عن اصلاح منسق ومتفق عليه للنظام من الأعلى، بجانب عدم قدرة الدولة القابضة على النظام من وضع جدول أعمال دولي منفردة، يعكس ضعفها البنيوي من ناحية، وزيادة منسوب القوة للقوى العالمية **(الصاعدة والناشئة)** الطامحة للمشاركة في القرار الدولي، وبسبب تعنت الولايات المتحدة وأخواتها الغربيات من أجل المحافظة على أرث أكثر من أربع قرون من السيطرة والهيمنة، يمكن أن تتعاظم احتمالات الانهيار العفوي والعنيف للنظام من الأسفل، من خلال ازدياد دور التحالفات الظرفية التكتيكية لحل المشكلات والأزمات الملحة ذات الأهمية على مستوى الأقاليم، وهذه لن تكون في أطار الدول فحسب، بل ستدخلها الجهات الفاعلة غير **(الدولتية – غير الرسمية)**، والتعبير الأوضح هو قوى التحرر والمقاومة.

يمكن للنزاعات ذات الطابع الجيو سياسي أن تكون مهلكة، إذ أن التمادي بالمساعدات الخارجية الأميركية لأطراف النزاعات الحلفاء أو المتماهين معها، من شأنه أن يشوه حساباتهم ويدفعهم إلى مواقف غير تسووية، ويشجع على مغازلة أخطار ربما تكون وجودية، وهم يعتقدون أنهم محصنون ضدها[١٣]، وسبق للسعودية أن جربت ذلك عقب انسياقها وراء الدعم زمن (ترامب)، وتداركته عندما ظهر انكشافها في الهجمات التي طالت مراكز ومنشأت حساسة لديها، لذلك تصرفت بواقعية وذهبت إلى إحلال تسوية مع الحوثيين، وتخفيض مستوى التصعيد مع إيران، إن الموقف الأميركي المنحاز (لإسرائيل) وحجم الدعم المبالغ فيه، لابد أن يقابله تكاليف ربما تدفع في الأجل القصير أو المتوسط.

إلا أن الثابت هو أضرار بمصالحها وسمعتها، وحتى عدم قبول دورها في أيّ من مشكلات وأزمات دول الجنوب، في حين أن أوكرانيا استحضرت حكاية مبتذلة ذات طابع نفعي وسياسة خدمات متبادلة، عندما اختارت أن تذهب مع المشروع الأميركي- الغربي في استفزاز روسيا، وتهديد أمنها القومي، فسياسة المخادمة لها زمنها عندما يصل حلفاءها إلى الحد الذي يجعل أوكرانيا مجبرة على إدراك فروض الواقعية.

ما قدمته حرب غزة يعد كثيراً إلا أننا سنركز على **المساهمات الرئيسة** وهما:

**<u>المساهمة الأولى:</u>** هو أنها إعادة إظهار ما يطلق عليه صدام الحضارات (صاموئيل هنتنغتون)، التي يحاول الغرب نفيها والابتعاد عنها، عندما أكدت طبيعة العلاقة بين الغرب و**(الشرق/ الجنوب)**، وهي علاقة تقوم في متضمناتها وجوهرها على أنها صراع متقدم ما بين الحضارات، لا تخفيه مساحيق الاعتماد المتبادل والمصير المشترك، والحماية المشتركة للكوكب وغيرها، لأن هذا الغرب ظل يحاول ترسيخ سرديته القائمة على كونها حضارة فريدة، وبفضلها تم صوغ مفاهيم الحرية بكل أشكالها (الحرية الفردية، الحرية الثقافية، الحرية الاقتصادية، والحرية الجنسانية (اختيار الفرد لنوع الجنس عند بلوغ ١٨ عاماً))، والديمقراطية السياسية، وحكم القانون وحقوق الإنسان، ولم تقدمها أيّ حضارة أخرى لا سيّما الحضارات السبع في عالم الجنوب **(بحسب الكسندر دوغين)**[١٤] وهي **(الصينية – الإسلامية- الهندية – الأفريقية- اللاتينية- الروسية)**.

لقد كشف طوفان الاقصى لكل الحضارات البشرية بكل وضوح، الوجه اللاأخلاقي للحضارة الغربية في سعيها لإلغاء وطمس أوجه الحضارات البشرية غير الغربية، تحت أحجية أن هذه الحضارة هي من أشاعت النظام والقانون، قد انهارت بسبب عدم سماح **(الولايات المتحدة- فرنسا- بريطانيا)** بتطبيق النظام والقانون الدوليين باستخدام الفيتو ضد أيقاف المجزرة والمحرقة في غزة، وعدم إقامة الاعتبار يأتي من أنها لا تقيم وزناً للحضارات الأخرى، وأنها تتعامل وفق مبدأ استعماري عنصري متعالي **(السيد والعبد)**، لهذا يرى هنتنغتون أن هناك ثلاثة قوانين هي **(الامتناع – الوساطة المشتركة – العوامل المشتركة)**[١٥]، إذا ما قبلها الغرب والولايات المتحدة، من شأنه تجنب الحروب والصدع ما بين الحضارات ويمنع تصادمها، ومن دون ذلك سيكون الصراع الحضاري هو من يحدد حدود التماس.

إن الاصطفافات التي يحدثها الغرب سواء في أوكرانيا ضد روسيا أو ضد الصين أو ضد الفلسطينيين، تمثل اصطفافات انتحارية بوجه الحضارات الأخرى، وما يعطي الصفة الحضارية لهذه الاصطفافات هي:

١. حضور الرئيس الأميركي إلى (إسرائيل) بعد أحداث ٧ اكتوبر مباشرة وتقاطر رؤساء الحكومات والدول الأوربية عليها، وهو مالم تفعله دول الغرب كافة مع حوادث كبرى أصابت بعض دول الجنوب.

٢. حضور وزير الخارجية الأميركي (بلينكن)، إلى تل أبيب والادعاء بأنه حضوره جاء لكونه يهودي.

٣. ادعاء رئيس موظفي البيت الأبيض بصفته الصهيونية، ووقوفه مع (إسرائيل).

٤. قبول الكونغرس الأميركي وبالتصفيق الحار لما قاله (نتنياهو)، بأن الصراع الحادث هو بين البربرية والحضارة (أيّ الغربية). وهذا ليس غريباً في التنكيل بالأخرين، إذ أن الرئيس الأميركي (ترامب) يرى أن الدول الأفريقية ليست سوى (مقالب للقمامة).

**المساهمة الثانية:** تعطيل التطبيع مع أكبر دول الجزيرة العربية **(السعودية)**، والعصف بفرضية الولايات المتحدة في إمكانية أن تشكل عملية التطبيع وتكثيف العلاقات مع (إسرائيل)، والتي يمكن أن تكون (إسرائيل) مظلة حماية لدول الخليج بالضد من إيران **(العدو الموهوم)**، الذي استطاعت الولايات المتحدة من ترسيخه في المدرك الخليجي، أو أنه غطاء لتمرير موضوعة التطبيع، إذ لابد من حكاية تسوغ التطبيع يمكن للنظم تمريرها نحو شعوبها أو في الجوار.

**المساهمة الثالثة: اجهاض مشروع (الممر الهندي) الذي يمر بالجزيرة العربية وينتهي (بإسرائيل)**، والذي صممته الولايات المتحدة لوأد **مشروع (الحزام والطريق)**، وطرحه **(بايدن)** في اجتماع مجموعة العشرين في الهند، وربما هذا ينسحب على الألعاب الجيبولتيكية الأميركية وحلفاءها فيما يخص العراق لمنعه من تمرير المشروع الصيني، واعاقة الاستثمارات الصينية الكبرى والاستراتيجية في العراق، وبخاصة **(ميناء الفاو الكبير)**، برغم التسهيلات التي قدمتها [١٦].

**المساهمة الرابعة: حفز طوفان الاقصى الفواعل من غير الدول اليمنية (أنصار الله)**، من اسقاط الهيمنة الأميركية على الممرات البحرية، ومنع مرور السفن والبواخر نحو مرافئ الكيان الصهيوني، وأدى إلى شبه العجز للثلاثي (الولايات المتحدة- بريطانيا- فرنسا) المكلف بفرض السيطرة على البحر الاحمر ومضيق باب المندب- وإعادة تعظيم **قوة العرب في هذه النقطة الضائعة**[١٧] - على كبح **(أنصار الله)** عن القيام بالعمليات لفرض حصار على الكيان الصهيوني، وهم من اختاروا هذه المهمة واستعدوا لدفع أيّ ثمن من التضحيات، وهذا ما قلب موازين القوة، وفرض مقايضة مرور التجارة نحو مرافئ (إسرائيل) بمقابل أيقاف الحرب على غزة، وربما هذه تحدث لأول مرة في أن حركة من الفواعل غير الدولية تفرض شروط على (٣) دول عظمى، وربما لم يكن وارداً بالحسبان عند المحور الغربي.

**المساهمة الخامسة:** قدم طوفان الاقصى درسين استراتيجيين هما:

١. اضعاف نظرية الهيمنة عبر القوة البحرية التي جاء بها (الفريد ماهان) [١٨]، وأفصح عن أن (قوى البر الأسيوية)، يمكنها أن تشّل (قوى البحر الغربية)، وبخاصة في الخوانق (المضائق) البحرية، كما هو في باب المندب وربما لاحقاً في مضيق هرمز.

٢. فشل نظرية استقرار الهيمنة (نظرية الاستقرار أحادي القطب)، التي روج لها المفكرين والمدارس الاستراتيجية الأميركية، ولعل أضعاف عناصر الهيمنة الجيو سياسية في منطقة غرب أسيا، نتيجة وجود أطراف محوراً جوهرياً لفواعل من غير الدول في مختلف المناطق غرب آسيا كفيل بإخراجها تاريخياً لأول مرة من دائرة التحكم الانجلو سكسوني، مما يؤدي إلى حرمانه من أكثر مناطق العالم استراتيجياً.

## الخاتمة والاستنتاجات

لم يعد مقبولاً التشبث والتمسك بمجازات عفا عليها الزمن، من مثل **النظام الدولي القائم على القواعد– ووهم القيم العالمية– أسطورة القوة القائدة**، فهذه غير قادرة واقعياً على خفض منسوب التهديدات للسلم العالمي، كما هو الحال في **(الشرق الأوسط– الحرب الأوكرانية – التحشيد في بحر الصين الجنوبي... الخ)**.

كما تكمن إشكالية العدو الصهيوني الحقيقية في داخله، بينما إشكالية الفواعل من غير الدول في المنطقة هي في خارجها، إذ يمكن **(للسياسة أن تخون السلاح)** كما يقول **(هيكل)** [١٩].

ويصل البحث على مجموعة من **الاستنتاجات** أهمها الآتي:

طوفان الاقصى ليست مخاطرة تتعلق بإمكانية نشوب حرب إقليمية في أخطر منطقة من العالم، التي تنتشر فيها الموارد الأمريكية والأوروبية، وهو ما يؤثر على موازين القوى العالمي، وبما يخدم روسيا والصين قطبي الإزاحة للهيمنة الأميركية.

١. فرض الحوثيون أنفسهم كقوة مؤثرة على الجغرافيا السياسية البحرية للولايات المتحدة، في اسنادها للشعب الفلسطيني، فرضته الجوانب الأخلاقية والدينية والإنسانية، وتمكنوا من هز صورة أقوى دولتين بحريتين في تاريخ الحديث والمعاصر للعالم.

٢. فشلت الولايات المتحدة والقوى الغربية في جعل (حرب غزة) شأن صغير ومحدود التأثير، حتى في إقليم غرب أسيا، إلا أن انتقال شعاع تأثيرها وصل إلى كل العالم، وأضحت قضية إنسانية وحقوقية عالمية.

٣. نتج عن حرب غزة أفشال استراتيجية واشنطن التي تهدف إلى دفع القضية الفلسطينية نحو خلفية السياسة الإقليمية، والانهماك أولاً في خلق جبهة موحدة بين (إسرائيل) والدول المطبعة.

٤. تسعى الولايات المتحدة إلى عدم اتساع رقعة السعي بين دول الجنوب بمساندة الصين وروسيا، لتشكيل دائرة واحدة رافضة لما يدعى بالنظام الدولي القائم على القواعد، ولا الترتيبات المعتمدة على الوفاق والتي تكرس صلاحيات القوى العظمى، بينما تتجلى طموحات دول الجنوب العالمي بالعمل على تشكيل نظام دولي جديد، يكون: أكثر تنوعاً، وأشمل تمثيلاً، وأقل توجيهاً.

٥. بات ثابتاً في مختلف دول عالم الجنوب، إن النظام الدولي الحالي لا يمتلك شرعية أخلاقية ولا مصداقية سياسية، وقواعده جرى تدوينها من قبل الغرب ولصالح الغرب وتقدم خدمة ذاتية للغرب. والابادة الجماعية للشعب الفلسطيني، التي شاركت فيها (الولايات المتحدة – بريطانيا– فرنسا – ألمانيا– إيطاليا) بشكل مباشر، نزعت التفوق الأخلاقي المزعوم لدول الغرب.

٦. قدمت الفواعل من غير الدول المختلفة في غرب أسيا والمنتظمة في مسميات متنوعة درساً بليغاً، بكونها أضعفت التفوق الجيو سياسي التاريخي المفترض للانجلوسكسون في غرب أسيا، وشكلت عائقاً لإدامته.

٧. رسخ محور الفواعل من غير الدول من الممكن أن يشكلون قطباً في ميدان التحول نحو نظام دولي جديد لا يتحكم فيه الغرب منفرداً.

## الهوامش

(١) نيقولا ميكافيلي، الأمير، تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١١، ١٩٨١، ص ١٤٨.

(٢) يدافع روسو عن الأكاذيب التي تخفي الحقيقة التي يجب إظهارها، تحت ذريعة أن قول الحق ليس إلزاماً، أي غير ملزم اخلاقياً، للمزيد ينظر: جاك جان روسو، أحلام يقضة جَو آل مُنفرد، ترجمة: ثريا توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٢٩.

(٣) مجلس الشعب السوري، الحروب طريق حياة لأميركا، ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٢، على الرابط:
http://parliament.gov.sy/arabic/eindex.php

(٤) القناة العربية لشبكة تلفزيون الصين الدولية، على الرابط: index.html/https://arabic.cgtn.com/n

(٥) أليكس كاليونيكس، الإستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الأمريكية، ترجمة: مركز الدراسات الاشتراكية، على الرابط:
https://revsoc.me/publications/20723/1

And, Condoleezza Rice, Campaign 2000: Promoting the National Interest, foreign affairs, January/February 2000, At: https://www.foreignaffairs.com/united-states/campaign-2000-promoting-national-interest.

(٦) يستخدم المفكر غرامشي مفهوم الهجمونية (**الرضا بالقوة**)، للمزيد ينظر: أنطونيو غرامشي، دفاتر السجن، ترجمة: معز مديوني– صبا قاسم، منشورات الجمل، دمشق، ٢٠٢٤.

(7) Keith Johnson & Jack Detsch, Why Can't the U.S. Navy and Its Allies Stop the Houthis? Months of intense Western naval operations have failed to secure the Red Sea. Foreign Policy, 2024/07/01, at: https://foreignpolicy.com/2024/07/01/houthi-red-sea-shipping-attacks-maritime-security-defense.

(٨) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية (٥).

(٩) نيقولا ميكافيلي، الأمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨.

(١٠) حمدي عبد الحميد الشريف، المشروعية الفلسفية للكذب والخداع السياسي، مج ٧، ج١، حولية كلية الآداب– جامعة بني سويف، مصر، ٢٠١٨، ص ١٧٠.

(١١) مداخلة: اميرة أبو سمرة، حقوق الانسان من منظور عالمي: إضاءات على طوفان الأقصى، في ملتقى التحولات والقضايا العالمية، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، بيروت، 30أبريل، ٢٠٢٤، على الرابط: https://hadaracenter.com .

(١٢) بيتر تورشين، الحرب والسلام والحرب: صعود الإمبراطوريات وسقوطه، ترجمة: أحمد العبدة، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، ٢٠٢٣.

(١٣) روبرت ميلي، ١٠ صراعات تجدر مراقبتها في العام ٢٠٢٠، مجموعة الأزمات الدولية، ٢٧ ديسمبر ٢٠١٩، على الرابط: https://www.crisisgroup.org/ar/global/10-conflicts-watch-2020

(١٤) الكسندر دوغين، نظرية عالم متعدد الأقطاب، ترجمة: ثائر زين الدين– فريد حاتم الشحف، ط ١، دار سؤال للنشر، بيروت، ٢٠٢٣.

(١٥) يعتمد هنتنغتون الأسلوب الغربي ذاته في التدليس والخداع والتحريض، في محاولة لحرف الصراع العالمي عن طبيعته، وهو في جميع مواقع إطروحته يظل يمجد الحضارة الغربية الأميركية من كونها تجمع ما بين الانجلوسكسونية والبروتستانتية، وفي الجوهر هو يساهم في صناعة عدو جديد للغرب بعد الاتحاد السوفيتي، للمزيد ينظر: صامويل هنتنغتون، صراع الحضارات: وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: مالك ابو شهيوة – محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ١٩٩٩.

(١٦) عبدعلي كاظم المعموري (معقباً)، موقعية الصراع الدولي على جيوبولتيك العراق، في كتاب: مجموعة باحثين، الحواف الحادة: في جيبولتيك العراق مع الممرات البرية، مركز دالة لتحليل السياسات والاستشارات، بغداد، ٢٠٢٤، ص ٤١–٥٣.

(١٧) حول ذلك ينظر مقالة: زهور مشرقي، متى يستفيق العرب؟ باب المندب نقطة قوة العرب الضائعة، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية الامنية والعسكرية، ٢٥ /١٢/ ٢٠٢٣، تونس، على الرابط: https://ciessm.org

(١٨) نقلاً عن: محمد طي، الجيوبولتيك منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، المكتب الاستشاري للدراسات والتوثيق، ط١، بيروت، ٢٠١٩.

(١٩) مع كل مواجهة مع العدو الإسرائيلي ينبري بعض الدول العربية الى الدفع صوب القضاء على حركة مقاومة هنا أو هناك، بالرغم من وقوفها وصمودها بوجهه ومن خلفه الولايات المتحدة والغرب، والشواهد على ذلك كثيرة منها موقف السعودية إزاء حزب الله في حرب ٢٠٠٦، وكذا الحال في طوفان الأقصى من وقوف الإمارات والأردن وصمت السعودية، للمزيد عن تأثير السياسة في الحروب، ينظر: محمد حسنين هيكل، أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة، مركز الاهرام، مصر، ط١، ١٩٩٣.